صور من الحياة الأميركية

بين المادية والروحية[1]

للاستاذ منير كردية

عند ما تتجول للمرة الأولى في نيويورك — ونيويورك هي العاصمة الفعلية ليس لأميركا فقط بل للعالم أجمع — وتسير في شوارعها الفسيحة المزدوجة بأنواع مخلوقات الله ، وتتطلع الى مخازنها وكأنها الحركة الدائمة ، وتقابل في طريقك ناطحات السحاب وقد ارتفعت نحو السماء وكأنها تريد ادراك النجوم ، مظهرة عظمة هذا الانسان وما وهبه من عقل مفكر مدبر . . . .

وعندما تدخل مصانعها ، فتشاهد الآلات الضخمة هادرة صاخبة ، والعمال من حولها يروحون ويجيئون ، بحركات آلية صرفة ، وكأنهم أدوات طيّعة لهذه الآلات .

وعندما ترى نظام المواصلات ، فوق الأرض وتحتها وعليها ، يسير بدقة وانتظام ، بجملاتك تنحني أمام عظمة هذا المخلوق الذي حارت البرية فيه .

وعندما تسمع رنين الثروات الضخمة التي تفوق العد والحصر ، صاعدة نازلة ، ذاهبة قادمة . . . . عندما ترى وتسمع وتقابل ، هذا وأكثر من هذا ، تجد نفسك انك أمام شعب عملي مادي ، لا يقر إلا بالمادة ، ولا يشعر الى غيرها ولا يجاهد إلا في سبيلها .

نعم عندما ترى وتسمع وتقابل ، هذا وأكثر من هذا ، لا يسعك إلا أن تقول ما أبعد هذا الشعب عن الروحية السامية ، وعن المثل العليا .

وأنت ابن تلك البلاد التي تسامت فيها الروحية ، تعالت حتى صارت وكأنها قدس

(١) حديث للاستاذ منير كردية من صور اميركا خص به المقتطف

من الأقداس ، وأنت ابن تلك البلاد التي توارثت المثل العليا ، فرسخت في نفسك ، وتوطدت في اعصابك . . أنت وهذا أمرك ، لا يسعك بعد أن ترى وتسمع وتقابل ، كل هذا في أميركا ، إلا أن تحزن لأمر هذا الشعب ، وترثي لحاله ، وتشفق عليه . . . .

ولكن ما أن تسبر غور هذا الشعب ، وتتقرب إليه ، وتتعرف الى مداخله ، وتتفهم حقيقة حاله ، حتى ترى أن هذه الصورة التي التقطها خيالك ، قد بهتت وتلاشت ، وذهبت مع الريح . . . . وحتى ترى أيضاً انك قد ظلمت هذا الشعب ، وجرت عليه بحكمك ، وإنك قد أسأت إليه . . . . نعم انك اذا سبرت غور هذا الشعب ، وتقربت إليه ، وتعرفت الى مداخله ، وتفهمت حقيقة حاله ، وجدت أن مظاهر عظمة أميركا المادية هي في الحقيقة رمز عظمتها الروحية ، ورسوخ مبادئها الديمقراطية الحرة .

إن الأميركي في صميمه متدين ، ويحترم كل دين . . . .

وإن الأميركي في طبعه محب للفن ، ومقدر لكل فن . . . . .

أما محبة الفن وتقديره ، فظاهرة بارزة في الاميركيين القدماء ، فكان يوجد في كل عائلة أفراد يتصرفون للفنون الجميلة . هذا للموسيقى ، وذاك للرسم ، وآخر للشعر أو النثر الجميل . ولا تزال هذه الظاهرة في الحياة الاميركية الجارية . فالمعاهد الموسيقية في كل مكان ، وقد لا تخلو مدينة كبيرة من مسرح أعد للأوبرا ، أو قاعة أعدت للغناء .

أما ناحية الفنون الجميلة ، فمعرض متروبوليتن في نيويورك ، ومعرض واشنطن الذي أنشأه أندرو ميلون بثمانين مليون دولار ، هما رمز واضح جلي لتقدير الأميركي للفنون الجميلة ، فالأميركيون أسخياء على الفنون الجميلة ، حتى ولو لم يستفيدوا منها بقدر ما يجب . واليوم نرى ظاهرة قوية في أميركا ، هي هذه الهجرة الفنية ، إلى هذا العالم الجديد ، فكثير من أقطاب الموسيقى والغناء والفن والتمثيل ، في أنحاء العالم يهرعون الى أميركا حيث يلقى فنهم الرفيع كل تقدير واكبار من الاميركيين . . . . .

أما من الوجهة الدينية ، فأميركا ملأى بالمعابد الدينية على مختلف أنواعها ، ففي كل حي معبد يحج إليه الناس ، ويتقربون فيه من الاله عز وجل ، شاكرين له نعمه ، حامدين ابلاءه ، مبتعدين عن الحياة المادية الصاخبة .

فليس ما نشاهده اليوم في أميركا من نهضة دنيوية علمية دليلاً على خمود العاطفة

الدينية ، بل إنها دليل على وضع تلك العاطفة على أفق أعلى لا يتنافى مع العقل السليم .

ولعل العاطفة الدينية تظهر واضحة جلية ساطعة ، في تلك الروح الكريمة التي يبديها الأميركيون عند سماعهم ببناء معبد أو مسجد ديني ، فإنهم يتسارعون ويتسابقون ، الى التبرع لهذا المشروع وإلى أمداده بمعونة ، غير ملتفتين إلى نوع الطائفة أو مذهبها ، المهم عندهم أن هنالك معبداً ينشأ ، وان عليهم واجباً نحو انشاء هذا المعبد ، وهذا غاية في التسامح الديني ، وخير ما يظهر هذه العاطفة الدينية في روح الأميركيين ، هو ذلك التصريح الذي قاله الأستاذ حسن حسني سكرتير السفارة المصرية ، والسكرتير التنفيذي لمؤسسة جامع واشنطن الذي يجري بناؤه : —

فقد قال الأستاذ حسني في حديث له عن جامع واشنطن ، إن هذا الاهتمام يمثل الحماس المتزايد بشأن ذلك المشروع النبيل . فالتبرعات المالية تتوارد على مؤسسة الجامع من الجاليات الاسلامية والمسيحية في كل ولاية من الولايات المتحدة .

وإن هذا الاهتمام سيكون برهاناً جلياً على الاخاء والاحترام الانساني للأديان والثقافات ، ويشير الأستاذ حسني بصورة خاصة الى الروح التعاونية التي يبديها الأميركيون فيقول : —

اني أعتقد أن الروابط القائمة التي تربط الشعب الأميركي بشعوب العالم الاسلامي ترتكز على التقدير المتبادل للقيم الروحية وتقدير الحرية ، وان هذه الصلات سوف تعزز وتقوى عن طريق تمكين أواصر التفاهم والتعاون وحسن النية .

ويقول أيضاً — واني آمل من صميم فؤادي أن يكون جامع واشنطن والمعهد الاسلامي الجديدان عاملاً حقيقياً وأداة في سبيل تحقيق هذه الأهداف التي تستحق كل تقدير . وهكذا تبدو روحانية الشعب الأميركي لكل متفحص لا يكتفي بمجرد الظواهر السطحية ، بل يتعمق الى الجوهر ، إلى القلب ، حيث يجد القلب حياً نابضاً .